
الحواجري

مقدمه

الحواجري

في أعماق الصحراء حيث تسكن الرياح وتروي الرمال قصص الأجداد، وُلد **محمد بن نجم الدين** في قلب وادٍ يعرف بـ **وادي الحواجر**، وادٍ تحيط به الجبال من كل الجهات، كأنها حراس صامتون على أسراره الدفينة. لم يكن مجرد مكان، بل كان موطنًا محفورًا في قلب كل من نشأ بين شعابه، وكل من ارتوى من مياهه القليلة وحمى نفسه من زمهرير لياليه وسعير نهاراته.

نشأ **محمد** في حضن قبيلته، **النجمية الهاشمية المضرية**، تلك القبيلة التي عُرفت بفروسيتها وشجاعتها منذ القدم. ورث عن أجداده قوة القلب، وعن والده نجم الدين حكمة الفرسان. منذ نعومة أظافره، كان يُرى على صهوة جواده، يجوب الوديان، ويتدرب على السيف والقوس، وكأنه يستعد لمصير لا يعلمه بعد.

ولكن، كما تهب العواصف فجأة في قلب الصحراء، جاءت الأحداث التي غيّرت مجرى حياته. حين دُمرت ديار قومه على يد الطامعين، وحين اضطر إلى الفرار، حاملًا اسم الوادي معه أينما حلّ، ليصبح منذ ذلك اليوم **محمد الحواجري**، الفارس الذي كتب اسمه بحد السيف في سجلات التاريخ.

الفصل الأول: حين يبكي الوادي

هـ، ضرب الجفاف الجزيرة العربية ضربته القاسية، كأن **444**في سنة السماء أقسمت ألا تروي الأرض قطرة ماء. ذبلت النخيل، تشققت الآبار، .وهام الناس في الصحاري بحثًا عن خلاص لا يأتي

كان **وادي الحواجر**، رغم حصونه الجبلية، عاجزًا عن الصمود أمام القحط. الأرض التي أنبتت الأبطال، جفت عروقها حتى لم تعد تعطي سوى السراب. اجتمعت القبائل تحت ظل نخلة هرمة في وسط الوادي، حيث وقف **نجم الدين شيخ النجمية الهاشمية**، يتكئ على رمحه، وعيناه تجولان .في الوجوه الشاحبة

:قال بصوت متهدج
ليس لنا في هذه الأرض مقام بعد اليوم... لن تبقى إلا العظام تحت " *"!الرمال، وإن أردنا الحياة، فعلينا الرحيل*

لم يكن القرار سهلًا، لكن الموت جوعًا أصعب. وفي ليلة بلا قمر، شدّ **محمد بن نجم الدين** رحاله، وقاد قافلة أهله وأفراد قبيلته نحو الغرب، نحو .مصر، حيث الأمل في النيل

بين الرمال والموت

لم تكن الرحلة مجرد انتقال من أرض إلى أخرى، بل كانت اختبارًا لقوة الرجال. ساروا في صفوف طويلة، تطأ أقدامهم الرمال التي لم تعرف ، عيناه تجولان بين الفرسان، **"الأسود"**الرحمة. كان **محمد** ممتطيًا جواده .يراقب، يحرس، ويقود كأنه ذئب يحمي قطيعه من السباع

في الليلة الرابعة، حينما كانوا يعبرون **سهل النفود الكبير**، دوى صهيل الخيل في الظلام، تلاه صوت سهم انطلق كالنار في الهشيم!

صرخ أحد الفرسان، ولم تمض لحظات حتى تدفقت من بين *"قطاع طرق!"* الكثبان عشرات الأجساد، عيونها تتوهج جوعًا وطمعًا.

لم ينتظر **محمد الحواجري** الهجوم. انتزع سيفه، وصرخ:
"إلى السلاح! لن تأخذوا منا سوى الحديد!"

انطلق بجواده، كأنه إعصار من الظلام، والتقى أول مهاجم بطعنة أرسلته أرضًا. التف حوله فرسانه، بينما كان الرمل يتطاير تحت سنابك الخيول، والسيوف تلمع تحت ضوء النجوم.

كان **محمد** كظل الموت، يتحرك بسرعة، يضرب حيث لا يتوقع العدو، وبينما كانوا منشغلين بقتاله، صرخ بصوت مدوٍّ:
"إلى الأمام! احموا النساء والصغار!"

بفضل شجاعته، استطاعوا صد الهجوم، وحين انقشع غبار المعركة، كان قطاع الطرق قد فرّوا، تاركين خلفهم جثثًا ورمالًا ترويها دماؤهم.

وقف **محمد الحواجري**، ونظر إلى أبيه **نجم الدين**، الذي كان يراقبه بفخر. اقترب منه، ووضع يده على كتفه، وقال:
"أحسنت يا بني... إن كان هذا امتحان الصحراء لنا، فقد أثبتَ أنك ابنها بحق"

واصلت القافلة طريقها، وبينما كانت قاهرة المعز تلوح في الأفق البعيد، عرف **محمد** أن القدر لم يكتب له أن يكون مجرد رجل من الوادي، بل

الحواجري، سليل النجمية، وذئب ...فارسًا ستذكره الرمال والتاريخ الصحراء.

الفصل الثاني: على أعتاب النيل

عندما لاحت **قاهرة المعز** في الأفق، بدا المشهد وكأنه سراب في قلب الصحراء، لكنه كان حقيقة لا يمكن إنكارها. بعد أسابيع من السفر، وعبور الصحارى القاسية، ووضع حدٍ لأطماع قطاع الطرق، وصلت قافلة **الحواجري** إلى أرض الكنانة، حيث تلوح على الأفق مآذن المساجد، وأسوار القلاع، وحياة تختلف تمامًا عما عرفوه في وادي الحواجر.

كان **محمد بن نجم الدين** ممتطيًا جواده **الأسود** في مقدمة الركب، عيناه تراقبان الطرق والناس بحدّة، كأنه لا يزال في قلب معركة، رغم أن الرحلة قد انتهت. أما والده، **نجم الدين،** فكان ينظر إلى النيل كأنه وجد كنزًا، قائلاً:

"ها هو الماء الذي بحثنا عنه..."

لكن الوصول إلى مصر لم يكن نهاية المتاعب، بل بداية تحديات جديدة.

نار في الأسواق

استقرت القبيلة في أطراف القاهرة، حيث وجدوا مأوى مؤقتًا، وبدأوا يتكيفون مع حياة المدينة. لكن مع وفرة الطعام والماء، كان هناك تهديد آخر يتربص بهم... طمع أصحاب النفوذ.

في أحد الأيام، وبينما كان **محمد الحواجري** يتجول في أحد الأسواق يتفقد احتياجات القبيلة، رأى مشهدًا أثار غضبه. كان مجموعة من الجنود يحيطون بتاجر عجوز، يدفعونه بعنف، بينما صاح أحدهم:

" لقد تأخرتَ عن دفع الضريبة... هذه أرض الحاكم، وأنت تدين له بالذهب، وليس بالكلام!"

وقعت عين **محمد** على المشهد، ولم يتمالك نفسه. تقدم بخطوات ثابتة، وصوته يحمل نبرة الواثق:

"ألا تستحون؟ رجل مسنّ، وتنهبونه كما ينهب اللصوص القوافل؟"

نظر إليه قائد الجنود بازدراء، وقال:

"ومن تكون أنت، أيها الغريب؟ هذه أمور لا تخصك، انصرف قبل أن تلحق به!"

لكن **محمد الحواجري** لم يكن ممن ينصرفون أمام الظلم. ألقى نظرة سريعة على الجنود، ثم، بحركة سريعة، أمسك يد القائد قبل أن يضرب التاجر، ولوى ذراعه بقوة، حتى صرخ الرجل من الألم! قبل أن يتمكن الجنود الآخرون من الهجوم، كان **محمد** قد استل سيفه، وقال بصوت منخفض لكنه يحمل تهديدًا واضحًا:

"جرّبوا المساس بي، وستكون هذه آخر ضريبة تفرضونها!"

لم يكن بحاجة للقتال، فالنار التي رأوها في عينيه كانت كافية ليتراجعوا، يتركون العجوز، وينسحبون بصمت. أما التاجر، فقد أمسك بيد محمد، وقال:

"بارك الله فيك، يا فارس الصحراء... إن لم يكن في مصر رجال مثلك، فكيف لنا أن نعيش؟"

لقاء مع السلطان

لكن هذه الحادثة لم تمر مرور الكرام. انتشرت أخبار **الغريب الذي تحدى جنود الحاكم** في الأسواق، حتى وصلت إلى آذان **أمير الجند**، الذي أمر باستدعاء **محمد الحواجري** إلى قصر الوالي.

وقف **محمد** أمام بوابة القصر، غير آبهٍ بالجنود الذين يحيطون به، ولا بالخطر الذي قد ينتظره. وحين دخل القاعة الكبرى، كان في استقباله **السلطان المملوكي** بنفسه، يجلس على عرشه الفخم، بينما نظر إليه بعين فاحصة، قبل أن يقول:

"أنت الفارس الذي يتحدث عنه الناس... من تكون؟"

رفع **محمد رأسه** بثقة، وقال بصوت لا يرتجف:

*" أنا **محمد بن نجم الدين الحواجري**، ابن الصحراء، وسليل بني هاشم... لم آتِ إلى مصر لأثير الفوضى، بل جئتُ لأحيا بكرامة"*

ابتسم السلطان ابتسامة غامضة، وقال:

" كرامتك لا تحتاج إلى قتال في الأسواق، لكن ربما... تحتاج إلى سيف في ساحات المعارك. مصر لا ترحب بالضعفاء، ولكنها تحتاج إلى الفرسان. فما رأيك أن تضع مهارتك في خدمة هذه الأرض؟"

ساد صمت للحظات، قبل أن يجيب **محمد الحواجري**:

" إذا كانت الأرض تستحق أن يُسفك الدم من أجلها... فستجدني في مقدمة الصفوف!"

وهكذا، بدأت صفحة جديدة في حياة **محمد الحواجري**، لم يعد مجرد فارس هارب من الجفاف، بل رجل على أعتاب قدرٍ أعظم...

الفصل الثالث: مرج عنتر – أرض الفارس الجديد

بعد لقائه مع السلطان، قرر **محمد الحواجري** أن يبحث عن مكان يستقر فيه مع أهله وقبيلته، بعيدًا عن صخب قصور الحكام، لكنه قريب بما يكفي من قلب القاهرة ليظل متابعًا للأحداث. وبعد بحث دام أيامًا، وجد أرضًا واسعة تقع على أطراف المدينة، يكسوها العشب الأخضر في الربيع، وتتناثر حولها بقايا أطلال قديمة، يقال إنها كانت معقلًا لأحد الفرسان الشجعان في زمن الفاطميين، فارس يدعى **عنتر**.

أُعجب **محمد** بهذه الأرض، وقال لوالده **نجم الدين** وهو ينظر إليها:
"هنا سنبني حياتنا من جديد، هنا سيكون موطننا."

وهكذا، بدأ أهل **وادي الحواجر** في بناء مضاربهم في تلك المنطقة، التي سرعان ما أُطلق عليها اسم **مرج عنتر**، نسبة إلى الفارس القديم، وكأنها كانت تنتظر قدوم فارس جديد ليحمل رايتها.

بناء الديار وبداية الحلم

لم يكن الاستقرار سهلاً، فالأرض كانت بحاجة إلى حراثة، والمياه إلى قنوات، والمساكن إلى بناء. لكن **محمد** لم يكن رجلاً يجلس في الظل بينما يعمل الآخرون. كان أول من حمل الفأس، وأول من أقام الأوتاد، حتى صار **مرج عنتر** موطنًا جديدًا لقبيلة النجمية ومن تبعهم.

لم يكن الاستقرار في تلك الأرض مجرد بناء للبيوت، بل كان تأسيسًا لقوة جديدة في مصر. ففي كل ليلة، كان **محمد** يجمع الفرسان من قبيلته، يدربهم على القتال، ويعلمهم فنون الفروسية كما تعلمها في صحاري الحجاز. لم يكن يريد أن يكون مجرد مهاجر يبحث عن الأمان، بل فارسًا يصنع لنفسه ولأهله مكانة بين رجال مصر.

الصراع الأول في مرج عنتر

لكن كما أن السيف لا يبقى في غمده طويلًا، فإن القوة لا تمر دون أن تثير الطامعين. ففي إحدى الليالي، جاء رسولٌ يلهث إلى مضارب الحواجري، وقال:

"سيدي محمد! رجال من إحدى القبائل المجاورة، جاءوا يطالبون بمرج عنتر لأنفسهم!"

خرج **محمد الحواجري** ممتطيًا جواده الأسود، والتقى بزعيم تلك القبيلة، الذي قال متبجحًا:

"هذه الأرض ليست لكم، أنتم مجرد وافدين... إما أن تدفعوا لنا ذهبًا، أو تغادروها!"

لكن **محمد** لم يكن ممن يُشترى أو يُهدد. ترجل عن جواده، ونظر في عيني الرجل، ثم قال بهدوء:

"إن كانت الأرض تُؤخذ بالذهب، فهذه أرضنا بعرقنا وكفاحنا... وإن كانت تُؤخذ بالسيف، فتعالَ وخذها!"

ساد الصمت بين الرجال، ثم قال أحدهم:

"إن كنت فارسًا حقًا، فأثبت لنا قوتك في النزال!"

لم يتردد **محمد**، بل تقدم إلى ساحة القتال، ممسكًا بسيفه، وواجه زعيمهم في مبارزة حامية. كانت السيوف تتلاقى في وهج المشاعل، والشرر يتطاير مع كل ضربة. لكن **محمد الحواجري** كان أسرع، وأكثر حنكة، وفي لحظة خاطفة، أسقط خصمه أرضًا، ووضع نصل سيفه على عنقه، قائلاً:

"هذه أرض من يحميها... وإن كنتم تريدون مكانًا فيها، فعيشوا بيننا بسلام، لا أعداء"

بهذا الانتصار، أصبح **مرج عنتر** معقلًا جديدًا للحواجري، ليس فقط كأرض يسكنونها، بل كمركز للقوة، والتاريخ الذي بدأ يُكتب بسيف محمد بن نجم الدين.

بداية عهد جديد

بعد ذلك، بدأ اسم **محمد الحواجري** ينتشر بين الناس، ليس كغريب من الصحراء، بل كفارس من فرسان مصر، رجل لا يُقهر، ولا يظلم، لكنه أيضًا لا يقبل بالظلم.

وهكذا، بدأ **مرج عنتر** يتحول إلى ما هو أكثر من مجرد مكان... أصبح رمزًا للقوة والعزة، وأصبح **محمد الحواجري** رجلًا له شأن بين الأمراء والفرسان.

ولكن، كما أن لكل فارس أعداء، فإن مكانته الجديدة ستجلب له خصومًا أكثر خطرًا... وبدأت المؤامرات تُحاك في الظلام.

الفصل الثالث: مرج عنتر – موطنٌ جديد

بعد رحلة شاقة عبر الصحارى والوديان، وبعد المعارك التي خاضها ضد قطاع الطرق، وصل **محمد بن نجم الدين الحواجري** وقبيلته إلى أطراف القاهرة، حيث كانت تنتشر السهول الخضراء والأراضي الخصبة التي تمتد حتى ضفاف النيل.

بحثوا عن مكان للاستقرار، حتى وصلوا إلى أرض واسعة تكسوها الأعشاب، تتناثر فيها أطلال قديمة، ويقال إن فارسًا عظيمًا اسمه **عنتر** قد سكنها في زمن مضى. رأى **محمد** في هذه الأرض فرصة لإعادة بناء مجد أهله، فوقف على ربوة مرتفعة، ونظر إلى أبيه **نجم الدين**، وقال:

"هنا سيكون موطننا الجديد، هنا سنعيد بناء عزتنا."

وهكذا، بدأ رجال القبيلة في بناء مضاربهم، وشق قنوات الماء، وتأسيس حياة جديدة وسط الأراضي الخصبة التي أصبحت تُعرف فيما بعد باسم **مرج عنتر**.

الاستقرار والتحديات

لم يكن الأمر سهلاً، فالمدينة القريبة كانت مليئة بالنفوذ والصراعات، وكان هناك من يرى في الغرباء تهديدًا. رغم ذلك، لم يكن **محمد الحواجري** يبحث عن المشاكل، لكنه لم يكن من أولئك الذين يرضخون للظلم أيضًا.

بعد أسابيع من الاستقرار، بدأت القبيلة في زراعة الأرض، وتربية الماشية، والتجارة مع سكان القاهرة. بدأ **مرج عنتر** يزدهر، وتحول من أرض مهجورة إلى موطن جديد لقبيلة **النجمية الهاشمية**.

لكن لم يكن الجميع راضين عن هذا الازدهار.

الصراع على الأرض

ذات ليلة، جاء رسولٌ إلى مجلس **محمد**، وهو يلهث قائلاً:

"سيدي محمد، هناك رجال مسلحون عند حدود مرج عنتر، يطالبوننا بإخلاء الأرض!"

نهض **محمد** على الفور، وركب جواده **الأسود**، وانطلق مع رجاله إلى حيث تجمع الخصوم. كان زعيمهم رجلاً من إحدى القبائل التي ادعت أنها تملك الأرض، فقال بصوت متعالٍ:

"هذه الأرض ليست لكم، أنتم مجرد غرباء هنا. إما أن ترحلوا، أو تدفعوا لنا ثمن بقائكم!"

لم يرد **محمد** بكلمة، بل ترجل عن جواده، وألقى نظرة ثاقبة على الرجل، ثم قال بهدوء لكنه كان يحمل تهديدًا صريحًا:

"الأرض ليست لمن يدعيها بالكلام، بل لمن يعمرها ويحميها. فإن كنتم تظنون أنكم أحق بها، فتعالوا وخذوها بالسيف!"

لم يكن هناك مجال للنقاش أكثر. بدأ الصراع، واندلعت معركة خاطفة بين رجال **محمد الحواجري** وبين المهاجمين. كان **محمد** يقاتل كإعصار، يتحرك بسرعة، يضرب بسيفه بلا تردد، ويقود رجاله بثبات حتى تراجع الأعداء، تاركين خلفهم قتلاهم وجرحاهم.

وقف **محمد**، وقد تناثر الغبار من حوله، ونظر إلى من بقي من المهاجمين، وقال:

"أخبروا من أرسلكم... أن مرج عنتر له أهل يحموه، ولن يأخذه أحد منهم ما دام فينا نفسٌ ينبض!"

وهكذا، أصبحت هذه المعركة إعلانًا بأن **محمد الحواجري** ليس مجرد رجل يبحث عن مأوى، بل قائد صنع لنفسه ولمحاربيه مكانًا يحسب له ألف حساب.

مرج عنتر يتحول إلى حصن

بعد هذه المعركة، أدرك **محمد** أن الأرض وحدها لا تكفي، بل يجب أن تكون لها قوة تحميها. بدأ في تحصين مرج عنتر، وبناء أبراج مراقبة، وتدريب الفرسان بشكل مكثف. لم يكن يريد الحرب، لكنه كان مستعدًا لها إن فرضت عليه.

مع مرور الأشهر، بدأ التجار والمسافرون يأتون إلى مرج عنتر، يبحثون عن الأمان بين محاربي **الحواجري**، وبدأ اسم **محمد بن نجم الدين** يشيع بين الناس، حتى صار رمزًا للفروسية والعدل في أطراف القاهرة.

لكن مع ازدياد شهرته، بدأت عيون جديدة تراقبه... بعضها معجبٌ بقوته، وبعضها يخشى نفوذه... وفي الظل، كانت هناك من تخطط لإسقاطه قبل أن يصبح قوة لا يمكن إيقافها.

الفصل الرابع: برقاش – مولد قرية من الرمال

مع مرور السنين، تحوَّل **مرج عنتر** من مجرد مضارب لقبيلة النجمية الهاشمية إلى مجتمع متكامل، حيث ازدهرت الزراعة، ونشطت التجارة، وبدأ الناس يتوافدون من مناطق مختلفة، يبحثون عن الأمان والاستقرار في ظل حكم **محمد الحواجري** العادل.

لكن مع ازدهار **مرج عنتر**، بدأ بعض رجال القبيلة يتحدثون عن ضرورة توسيع نطاقهم، وبناء مستوطنة جديدة تكون مركزًا أكثر رسوخًا، خاصة مع قدوم مجموعات جديدة من العرب الرحّل، الذين جاؤوا من **برقة في ليبيا**، بحثًا عن أرض خصبة تأويهم.

لقاء مع رجال برقة

ذات يوم، وبينما كان **محمد الحواجري** يراقب أعمال الحقول، جاء إليه أحد رجاله وقال:
"يا سيدي، هناك وفد من رجالٍ عرب يقولون إنهم قدموا من الغرب، ويريدون لقاءك."

تقدم **محمد** إلى مجلس الضيافة، حيث وجد مجموعة من الفرسان العرب يجلسون بوقار، تبدو عليهم ملامح الصحراء القاسية. تقدم شيخهم، وقال:
*"السلام عليك يا محمد بن نجم الدين، نحن قوم من **برقة**، اضطررنا إلى مغادرة أرضنا بسبب الحروب والجفاف، وسمعنا عن عدالتك وقوتك، فجئنا نطلب جوارك."*

تأملهم **محمد** للحظات، ثم قال بصوت ثابت:
" من دخل أرضنا ضيفًا، خرج منها أخًا... لن تكونوا غرباء هنا، بل أهلًا بيننا"

فرح رجال برقة بكلماته، وعاهدوه على الولاء، وهكذا، بدأ العمل على تأسيس مستوطنة جديدة، تكون موطنًا لهم، وسرعان ما أُطلق عليها اسم **"برقاش"**، نسبة إلى أصلهم الذي جاءوا منه.

بناء برقاش – قرية الفرسان

لم يكن بناء **برقاش** أمرًا سهلاً، فالأرض كانت تحتاج إلى تهيئة، والمياه إلى قنوات، والمنازل إلى بناء. لكن بفضل خبرة رجال برقة في الزراعة، ومهارة رجال **الحواجري** في الفروسية والحماية، بدأت القرية تنمو سريعًا، حتى أصبحت مركزًا تجاريًا صغيرًا، يتردد عليه التجار والمسافرون.

ولم يكن **محمد الحواجري** ليترك هذه القرية دون حماية، فأقام فيها نقطة حراسة دائمة، وجعلها قاعدة للفرسان الجدد الذين انضموا إليه من **برقة**، مما جعلها تعرف باسم **"قرية الفرسان"**، إذ لم يكن هناك رجل فيها لا يجيد ركوب الخيل وحمل السلاح.

الطامعون في برقاش

لكن كما كان الحال مع **مرج عنتر**، لم يمر ازدهار **برقاش** دون أن يثير الطامعين. فقد كانت القرية تقع على طريق القوافل التجارية، وهو ما جذب أنظار أحد **أمراء المماليك** في القاهرة، الذي أرسل رجاله يطالبون محمدًا بدفع ضريبة مقابل السماح لهم بالبقاء هناك.

جاء أحد جنود الأمير إلى مجلس **محمد الحواجري**، وقال بصوت متعالٍ:
"هذه الأرض تحت حكم السلطان، وكل من يسكنها يجب أن يدفع الجزية!"

ابتسم **محمد** بسخرية، ثم قال:
"هذه الأرض لم يرسمها سلطان، بل صنعها رجال بدمهم وعرقهم... فمن يريدها، فليحمل سيفه بدلًا من ورقه!"

عاد الجندي بكلمات **محمد** إلى سيده، الذي غضب غضبًا شديدًا، وقرر أن يرسل حملة عسكرية صغيرة لتأديب **الحواجري** وإخضاع **برقاش** لسلطته.

معركة برقاش الأولى

في فجر أحد الأيام، ظهرت رايات **المماليك** في الأفق، يقودهم أحد قادة الأمير، ومعه مجموعة من الفرسان المدججين بالسلاح. تقدم نحو بوابة **برقاش**، وهو ينادي:
"إن لم تسلّموا الأرض، أُحرِقَت بمن فيها!"

لكن **محمد الحواجري** لم يكن من أولئك الذين يُهدَّدون بسهولة. ظهر على ظهر جواده الأسود، وإلى جانبه فرسانه من **الحواجري وبرقة**، ثم قال بصوت هادر:
"إن كنتم تظنون أن برقاش لقمة سائغة، فتعالوا وخذوها... إن استطعتم!"

اندلعت **المعركة الأولى في برقاش**، وكانت من أشرس المعارك التي خاضها **محمد الحواجري**، حيث استخدم فرسانه تكتيكات الصحراء التي تربى عليها، وقاتل بشجاعة وسط رجاله. وبعد ساعات من القتال العنيف، تراجعت قوات المماليك مهزومة، بعد أن تكبدت خسائر فادحة.

وقف **محمد** بين جثث الأعداء، ونظر إلى فرسانه، ثم قال:

"!برقاش ليست للبيع... ولن يحكمها إلا من حمل سيفه من أجلها"

برقاشٌ رمزٌ للقوة

بعد هذا الانتصار، أصبح اسم **محمد الحواجري** يُذكر في كل مجالس العرب والمماليك، كفارس لا يُهزم، ورجل لا يقبل بالظلم. أصبحت **برقاش** ليست مجرد قرية، بل رمزًا للمقاومة، وموطنًا للفرسان الذين أقسموا على الدفاع عنها.

لكن مع كل انتصار، كانت العيون تزداد عليه، وكان هناك من يخطط في الخفاء لإسقاطه... فهل سيتمكن **محمد الحواجري** من الحفاظ على ما بناه، أم أن هناك تحديات أعظم بانتظاره؟

الفصل الخامس: اللقاء بين الحواجري وأبي عبد الجليل

بعد أن استقر **محمد بن نجم الدين الحواجري** وقبيلته في **مرج عنتر**، وبدأوا في بناء حياتهم الجديدة، اكتشفوا أنهم ليسوا أول من وطأت أقدامهم هذه الأرض.

في أحد الأيام، وبينما كان رجال الحواجري يعملون في تسوية الأرض وزراعة الحقول، جاء مجموعة من الفرسان، يتقدمهم رجل وقور ذو لحية كثيفة، يمتطي جوادًا أشهب، تحيط به مجموعة من الرجال المسلحين. كان واضحًا من هيئتهم أنهم ليسوا مجرد مسافرين، بل أصحاب أرض ورجال قبيلة راسخة.

اقترب الرجل من **محمد الحواجري**، وقال بصوت مهيب:
*"السلام عليكم، أنا **عبد الجليل بن فزارة**، من عرب فزارة، وهذه الأرض لنا منذ زمن، فمن أنتم؟"*

نظر إليه **محمد الحواجري** باحترام، وأجابه بثقة:
"وعليكم السلام، نحن من بني النجمية الهاشمية، قدمنا من وادي الحواجر في الحجاز بعد القحط العظيم، نبحث عن مأوى ورفقة صالحة."

تأمل **عبد الجليل** الرجل الذي أمامه، وكان قد سمع عن **محمد الحواجري** وعن شجاعته في طريقه إلى مصر. كان يعرف أن هؤلاء الرجال ليسوا مجرد لاجئين، بل فرسان قادرون على أن يكونوا حلفاء أقوياء، أو أعداء لا يُستهان بهم.

فقال بعد لحظات من التفكير:

"المرج يسع الجميع، لكن الأرض لمن يحميها... فهل جئتم لتأخذوها أم لتعيشوا بيننا؟"

ابتسم **محمد الحواجري**، وقال:

"جئنا نبحث عن إخوة، لا عن خصوم. اليد التي تُمدّ لنا بسلام، نمدّ لها سيوفنا دفاعًا عنها."

عندها، ترجل **عبد الجليل** عن فرسه، ومدّ يده إلى **محمد الحواجري**، فصافحه بحرارة، وقال:

"إذن، فأهلًا بكم في مرج عنتر، بين بني فزارة."

تحالف الحواجري والفزاريين

مع مرور الأيام، بدأ **الحواجري** و**الفزاريون** يتعاونون في حماية المنطقة، وأصبح **مرج عنتر** مركزًا للحياة البدوية، حيث تزاوجت العادات والتقاليد بين القبيلتين.

كان **عبد الجليل** رجلًا حكيمًا، ذا خبرة واسعة بشؤون مصر، بينما كان **محمد الحواجري** فارسًا مغوارًا، يملك الجرأة والقوة، فكانا مكملين لبعضهما البعض.

لم يمضِ وقت طويل حتى بدأ الخطر يطرق أبوابهم. فقد سمع أحد أمراء المماليك عن التحالف الجديد في مرج عنتر، فأرسل رسولًا يطلب من القبيلتين دفع الضرائب مقابل السماح لهم بالبقاء.

لكن **عبد الجليل** و**محمد الحواجري** كان لهما رأي آخر...

المماليك يهددون مرج عنتر

وصل رسول الأمير إلى مجلس **عبد الجليل** حيث كان يجلس مع **محمد الحواجري**، وقال بصوت متعالٍ:

"الأمير يطلب منكم دفع الجزية مقابل حمايتكم، فأنتم في أرضه، ولا يمكنكم البقاء دون إذنه"

نظر إليه **عبد الجليل** بازدراء، ثم التفت إلى **محمد الحواجري**، الذي نهض من مجلسه، وسحب خنجره، ثم غرزه في الطاولة، وقال بصوت هادئ لكنه يحمل نبرة تهديد:

"نحن لا ندفع لمن لم يدافع عنا، فإن أراد الأمير أرضنا، فليأخذها بالسيف"

غادر رسول الأمير غاضبًا، وبعد أيام، وصلت قوة من المماليك إلى مشارف **مرج عنتر**، ظنًا منهم أنهم سيجدون رجال قبائل متفرقين يسهل إخضاعهم. لكنهم وجدوا **الحواجري والفزاريين** مصطفين في صف واحد، ينتظرون القتال.

معركة الدفاع عن مرج عنتر

كانت المعركة عنيفة، حيث استخدم المماليك دروعهم الثقيلة وسيوفهم الطويلة، بينما قاتل الفرسان العرب برشاقة وسرعة، مستخدمين تكتيكات الكرّ والفرّ التي أتقنوها في الصحراء.

في لحظة حاسمة، اندفع **محمد الحواجري** مباشرة نحو قائد المماليك، واشتبك معه في قتال فردي شرس، انتهى بإسقاط القائد من على فرسه، مما بث الرعب في قلوب الجنود ودفعهم للانسحاب.

وقف **عبد الجليل** بجانب **محمد الحواجري**، وقال وهو يضحك:

"أظن أن الأمير لن يرسل إلينا رسولًا آخر قريبًا"

ولادة برقاش

بعد هذا الانتصار، زاد عدد الوافدين إلى **مرج عنتر**، وبدأت الحاجة إلى التوسع، فقرر **عبد الجليل** و**محمد الحواجري** البحث عن أرض جديدة لإنشاء مستوطنة أخرى تكون قاعدة إضافية لهم.

أثناء بحثهم، وجدوا منطقة خصبة قريبة، يقصدها بعض التجار والرُّحَّل من الغرب. قال أحد الرجال:

*"كان يمر من هنا عرب من **برقة** في ليبيا، ويقيمون لبعض الوقت، فلنسميها **برقاش**، تيمّنًا بهم."*

وهكذا، تأسست **برقاش** كقرية جديدة، تجمع بين العرب القادمين من برقة، وأهل فزارة، والحواجري الذين أصبحوا جزءًا من النسيج الجديد.

نهاية الفصل

لم يكن **محمد الحواجري** حاكمًا، لكنه كان فارسًا يحظى بالاحترام، رجلًا تثق به القبائل وتحتمي به، بينما كان **عبد الجليل الفزاري** شيخًا حكيمًا، يقود بعقله قبل سيفه.

ولكن، بينما كان كل شيء يبدو هادئًا، كانت هناك عيون تراقبهم من بعيد... فمن كان يخطط لإسقاط هذا التحالف الجديد؟

ماذا بعد؟

الفصل السادس: برقاش –وبداية الجذور الجديدة

بعد مرور عقود على تأسيس **مرج عنتر** وازدهارها، بدأت أنظار القبائل العربية تتجه نحوها، حيث ساد العدل، وعاش الناس في أمان. لم يكن المكان مجرد مستوطنة عادية، بل تحول إلى نقطة جذب للعائلات والقبائل التي هاجرت بحثًا عن الاستقرار بعد الحروب والنكبات.

نزوح بني الأحمر من الأندلس

في أواخر القرن التاسع الهجري، وبعد **سقوط غرناطة عام 897هـ (1492م)**، تشتتت بنو الأحمر الذين حكموا الأندلس، وانتقل بعضهم إلى المغرب، حيث وجدوا مأوى بين القبائل العربية هناك. لكن لم يكن الاستقرار في المغرب سهلًا، فقد ضاقت بهم الأرض، ووجد بعضهم أن الهجرة شرقًا نحو مصر خيارٌ أفضل.

من بين هؤلاء، خرجت **عائلة أبي خليل**، التي كانت تحمل تراثًا أندلسيًا غنيًا، لكنها اضطرت إلى التكيف مع حياة العرب البدو في الصحراء. عبروا بلاد المغرب، ثم دخلوا ليبيا، وواصلوا رحلتهم حتى وصلوا إلى أطراف القاهرة، حيث وجدوا في **برقاش** مكانًا مناسبًا للاستقرار.

عندما وصلوا، استقبلهم شيوخ **برقاش**، الذين كانوا يدركون قيمة الرجال القادمين من الأندلس، بمهاراتهم في الزراعة، وإتقانهم للحرف والصناعات، ومعرفتهم بالعلم والفقه.

قال **محمد الحواجري**، وقد تقدم لاستقبال زعيمهم:

"من دخل برقاش، دخلها أخًا لا غريبًا... اجعلوا من هذه الأرض موطنًا لكم!"

قدوم عائلات المغرب: الدغوغى وبو قاسم وبو هيبة

لم تتوقف الهجرات عند بني الأحمر، فقد وصلت إلى برقاش **عائلة الدغوغى**، وهي عائلة مغربية اشتهرت بالعلم والتجارة، وكانوا رجالًا عرفوا بحكمتهم وفطنتهم. جلبوا معهم خبراتهم في **تنظيم الأسواق والتجارة**، وساهموا في تحويل برقاش إلى نقطة تجارية مهمة بين مصر والمغرب.

كما تبعتهم **عائلة بو قاسم** و**عائلة بو هيبة**، وهم من المغاربة الذين قطعوا رحلة طويلة عبر الصحراء بحثًا عن حياة جديدة. وجدوا في برقاش بيئةً مألوفة حيث يجتمع العرب تحت راية واحدة، دون تفرقة بين المهاجرين وأهل الدار.

قدوم عائلات ليبيا: أبو حجيل وبو فايد وبو مطيرة

مع مرور السنين، بدأت **عائلات ليبية** أخرى تسمع عن برقاش، وخاصة من **برقة**، تلك المنطقة التي اشتهرت بإرسال رجالها إلى كل أنحاء العالم العربي.

- **عائلة أبي حجيل** كانت أول من وصل، وقد كانت تنتمي إلى بطون العرب الذين استقروا في **برقة** منذ القدم. حملوا معهم خبراتهم في تربية الإبل والزراعة، وسرعان ما أصبحوا جزءًا أساسيًا من نسيج برقاش.
- **عائلة بو فايد وبو مطيرة** قدموا لاحقًا، وكانوا فرسانًا أقوياء، استُعين بهم في الدفاع عن القوافل التي تمر عبر المنطقة، وكان لهم دور في صد غارات الطامعين.

لماذا سُمّيت برقاش بهذا الاسم؟

مع تزايد أعداد القادمين من **برقة**، بدأ الناس يطلقون على هذه المستوطنة الجديدة اسم **"برقاش"** في برقة من جاءت التي العائلات أصول إلى نسبةً ، ليبيا. لم يعد المكان مجرد تجمع للقبائل، بل أصبح قرية حقيقية، يختلط فيها الدم العربي من المشرق والمغرب، ليشكل مجتمعًا فريدًا قائمًا على التعاون والقوة.

التحول إلى مركز تجاري وزراعي

مع استقرار هذه العائلات، ازدهرت **برقاش**، وأصبحت سوقًا يمر بها التجار القادمون من ليبيا والمغرب والحجاز. ساعد الأندلسيون في تطوير الزراعة، بينما قدم الليبيون خبراتهم في تربية المواشي، وأصبح المغاربة جزءًا من الحياة الاجتماعية والثقافية للقرية.

تدخل الدولة المملوكية وتعيين العمدة

مع ازدهار برقاش، بدأ أمرها يصل إلى مسامع المماليك في القاهرة، الذين كانوا يسعون إلى فرض سيطرتهم على جميع القرى والتجمعات القريبة من العاصمة لضمان استقرار الدولة وتأمين طرق التجارة.

في عام **885 هـ**، أصدر أحد أمراء المماليك قرارًا بتعيين **عائلة الدغوغى** عمدًا على برقاش، نظرًا لمكانتهم بين الناس، وحكمتهم في إدارة شؤون القرية. كان هذا القرار ذا أثر مزدوج؛ فمن ناحية، ضمن استقرار برقاش تحت مظلة الدولة، ومن ناحية أخرى، جعل العمدة الجديد مسؤولًا أمام المماليك عن جمع الضرائب والحفاظ على الأمن.

رحّب أهل برقاش بهذا التعيين بحذر، فقد كانوا يدركون أن ارتباطهم بالمماليك يعني التزامًا أكبر تجاه الدولة، لكنهم في الوقت ذاته وثقوا في **آل الدغوغى**، الذين كانوا معروفين بحكمتهم وحرصهم على مصالح القبيلة.

ومع مرور السنين، أصبحت **عائلة الدغوغى** جزءًا أساسيًا من قيادة برقاش، حيث ساهموا في تطويرها وإدارتها بحنكة، حتى أصبحت واحدة من القرى المهمة على أطراف القاهرة. لكن هل سيظل هذا الاستقرار قائمًا؟ أم أن برقاش ستواجه تحديات جديدة في ظل حكم المماليك؟

ماذا بعد؟

الفصل السابع: إرث الحواجري وتفرق القبيلة في الآفاق

بعد سنوات من الاستقرار في **برقاش**، ومع ازدهار القرية تحت قيادة عائلة **الدغوغى** كعمد، بدأ الزمن يأخذ أثره على **محمد بن نجم الدين الحواجري**. كبر الفارس الذي حمل راية قبيلته، وأصبح شيخًا حكيمًا يشهد على ازدهار الأرض التي كانت يومًا صحراء قاحلة.

لكن **الحياة لا تدوم لأحد**...

وفاة الحواجري وانتشار أبنائه

في ليلة شتوية هادئة، حيث كانت النجوم تتلألأ في سماء برقاش، شعر **محمد الحواجري** بثقل السنين على جسده. اجتمع حوله أبناؤه وأحفاده، رجال القبيلة وشيوخها، ليستمعوا إلى كلماته الأخيرة.

قال لهم بصوت متهدج لكنه ثابت:

"لم يعد لي في هذه الدنيا إلا ذكري بينكم... حافظوا على الأرض، وكونوا يدًا واحدة... وإذا افترقت بكم السبل، فلتبقَ راية النجم مضيئة في كل أرض تنزلونها."

أسلم الروح، وشيّعه أهل **برقاش** بجنازة عظيمة، دفنوه في قلب الأرض التي شهدت أعظم معاركه وأهم محطاته في الحياة. لكن برحيله، لم يبقَ أبناؤه مجتمعين في مكان واحد، بل أخذتهم الأقدار إلى أماكن مختلفة، حيث **انتشرت ذريته في جميع أنحاء الوطن العربي**.

الهجرة إلى المغرب – استقرار بين فاس ومكناس

بعض أبناء الحواجري قرروا أن يشدوا الرحال غربًا، متأثرين بعلاقاتهم القديمة مع العائلات المغربية التي عاشت في برقاش. فشدوا الرحال إلى

المغرب، واستقروا في المنطقة الواقعة بين **فاس ومكناس**، حيث وجدوا أرضًا خصبة وبيئة شبيهة بما اعتادوه.

هناك، أصبح **الحواجري** جزءًا من نسيج المجتمع المغربي، عاشوا بين القبائل، وشاركوا في التجارة والحرف، وبمرور السنوات أصبح لهم شأن بين العرب الذين استقروا في تلك المنطقة.

العودة إلى مصر – الحنين إلى الجذور

لكن مهما طالت الغربة، يظل الحنين إلى الوطن قويًا... ومع مرور السنين، بدأ بعض أحفاد الحواجري الذين استقروا في المغرب يشعرون برغبة في العودة إلى مصر. فقد ظل اسم **برقاش** محفورًا في ذاكرتهم، وظلوا يتناقلون قصص جدهم الأكبر **محمد بن نجم الدين الحواجري**، فارس الصحراء الذي حارب من أجل الأرض والكرامة.

وفي منتصف القرن الثاني عشر الهجري، عاد بعض من نسل **الحواجري** إلى مصر، ليستقروا مجددًا بين أهلهم، ويحملوا معهم عادات وثقافة اختلطت بما رأوه في المغرب، لكنهم ظلوا أبناء **النجم الهاشمي المضري**، يرفعون راية القبيلة التي لم تنكسر أبدًا.

إرث لا يموت

وهكذا، لم تكن حياة **محمد الحواجري** مجرد قصة فارس شجاع، بل كانت بداية **لسلالة انتشرت عبر الوطن العربي، تحمل اسمها في كل أرض تنزلها**. من مصر إلى المغرب، ومن ليبيا إلى الحجاز، ظل اسم **الحواجري** رمزًا للقوة، والكرامة، والتاريخ العريق.

لكن هل كانت هذه نهاية الرحلة؟ أم أن القدر يخبئ فصلًا جديدًا في تاريخ هذه القبيلة؟

ماذا بعد؟

الفصل الثامن: العودة إلى أرض الكنانة – تأسيس الحاجر

مرت السنوات، وتعاقبت الأجيال، وظل **أحفاد الحواجري** الذين استقروا في **المغرب** يعيشون بين قبائل **فاس ومكناس**، لكن **الحنين للوطن لا يموت**.
كانت حكايات الجد الأكبر، **محمد بن نجم الدين الحواجري**، تُروى في المجالس، وتتناقلها الألسن جيلاً بعد جيل، حتى باتت وكأنها نداء خفي في قلوبهم، يدعوهم للعودة إلى أرض الأجداد.

قرار العودة إلى مصر

في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وبينما كانت مصر تمر بمرحلة جديدة من الاستقرار تحت الحكم العثماني، قررت **مجموعة من أحفاد الحواجري** شدّ الرحال من المغرب إلى مصر، لتعيد وصل ما انقطع، وتبحث عن أرض تحتضنهم من جديد.

كانت رحلتهم شاقة، عبروا الصحراء حتى وصلوا **إلى برقة في ليبيا**، حيث أقاموا فترة بين أهلهم هناك، ثم واصلوا طريقهم عبر البحر إلى الإسكندرية، ومنها تحركوا جنوبًا في عمق الدلتا، باحثين عن مكان مناسب للاستقرار.

تأسيس "الحاجر" – القرية الجديدة

بعد أشهر من الترحال، وصلوا إلى **منطقة بين طنطا والمنوفية**، قرب **فرع رشيد** أحد أفرع **نهر النيل** العظيمة. وجدوا هناك أرضًا خصبة، وموقعًا استراتيجيًا بين الأراضي الزراعية، فقرروا أن يكون هذا **موطنهم الجديد**.

اجتمع شيوخ العائلة، واتفقوا على تسمية القرية الجديدة باسم **"الحاجر"**، نسبة إلى وادي **الحواجر** الذي خرج منه جدهم الأكبر، محمد الحواجري، قبل قرون. أرادوا أن يبقى الاسم شاهدًا على تاريخهم، وحلقة وصل بين ماضيهم في الصحراء وحاضرهم في الدلتا.

اندماج الحواجري مع أهل الدلتا

مع مرور الوقت، بدأ **أحفاد الحواجري** في بناء قريتهم، شيدوا البيوت الطينية، وحفروا القنوات لري الأراضي الزراعية، وبدأوا في زراعة القمح والقطن، ليصبحوا جزءًا من النسيج الزراعي لمصر. اندمجوا مع القبائل والعائلات المجاورة، لكنهم حافظوا على **هويتهم الخاصة**، وظلت قصص فارسهم الأول **محمد بن نجم الدين الحواجري** تُروى للأجيال الجديدة، كأنها جزء من تراث لا يُمحى.

وهكذا، بعد رحلة طويلة من الهجرة والترحال، عاد **الحواجري** إلى مصر، ليبدأوا فصلاً جديدًا في تاريخهم، لكن هل كانت هذه هي النهاية؟ أم أن الأقدار كانت تخبئ لهم تحديات جديدة؟

ماذا بعد؟

الفصل التاسع: الشتات الجديد – تفرق الحواجري في الدلتا وفلسطين

بين طنطا والمنوفية إلا محطة **"لم يكن استقرار الحواجري في "الحاجر** في رحلتهم الطويلة. فمع مجيء **محمد علي باشا** إلى حكم مصر في أوائل القرن التاسع عشر، شهدت البلاد تغيرات جذرية، خاصة في مشاريع الري الكبرى، التي **غيرت معالم الأرض، ودفعت العديد من العائلات إلى النزوح والبحث عن أراضٍ جديدة.**

مشاريع الري وتغير مصير الحاجر

مع **حفر الترع الجديدة** التي أطلقها محمد علي لتوسيع الزراعة، أصبحت أرض **الحاجر** جزءًا من هذه المشروعات، مما أجبر كثيرًا من أهلها على مغادرتها. لم يكن أمام الحواجري خيار سوى البحث عن أماكن جديدة داخل الدلتا، وهكذا بدأت **مرحلة جديدة من التفرق والانتشار.**

تفرق الحواجري في أنحاء الدلتا

مع مرور السنوات، تفرق **أبناء الحواجري** في مناطق مختلفة من **شمال مصر**، وكان لكل فرع منهم قصة خاصة به:

- **الحاجر، مركز فاقوس - الشرقية:** أصبحت موطنًا لعدد كبير من أبناء القبيلة الذين استقروا فيها، وشاركوا في الزراعة والتجارة.
- **قرية 63، كفر الشيخ:** واحدة من المستوطنات الجديدة التي نشأت مع توسع الأراضي الزراعية.
- **شيط الجمايلة، كفر صقر - الشرقية:** حيث استوطن جزء من العائلة وأصبح لهم نفوذ بين أهل المنطقة.

كانت واحدة من القرى التي اختارها **:بشلا، ميت غمر - الدقهلية .** بعض الحواجري ليستقروا بها بسبب موقعها القريب من النيل.

أصبح موطنًا مهمًا للعائلة، حيث توسعوا في **:حوش عيسى، البحيرة .** زراعة القطن، الذي كان العمود الفقري لاقتصاد مصر في عهد محمد علي.

أصبحت أماكن معروفة **:عزبة الحواجرى ومركز بدر، البحيرة .** بوجود العائلة، وظل اسمهم شاهدًا على جذورهم الممتدة.

فرع الحواجري في صعيد مصر – الحاجر بسوهاج

لم يتوقف انتشار الحواجري عند **الدلتا** فقط، بل اتجه بعضهم جنوبًا إلى مع مرور الوقت، تمكنوا من **.سوهاج**، حيث أسسوا قرية **الحاجر بسوهاج** إثبات مكانتهم، حتى قام **الحكم العثماني** بتعيين أحدهم **عُمدةً للقرية**، مما زاد من نفوذهم هناك.

الحواجري في فلسطين – الرحلة مع حملة إبراهيم باشا

لم يكن خروج الحواجري من **مصر** قاصرًا على الترحال الداخلي، بل إن **بعض أبناء القبيلة** خرجوا مع **حملة إبراهيم باشا ابن محمد علي على الشام (1831م - 1841م)**، وهي الحملة التي سعت إلى ضم بلاد الشام إلى الدولة المصرية.

أثناء تقدم الجيش المصري عبر **سيناء وغزة**، كان هناك عدد من **أبناء الحواجري** بين المقاتلين، خاصة **أولاد علي مرسي الحواجري وصقر الحواجري**، الذين استقروا في **قرية برير** في فلسطين بعد انتهاء الحملة.

لكن المفاجأة الكبرى كانت حينما **التقوا بأقاربهم من آل الحواجري في بئر سبع!**

اللقاء مع أحفاد الحواجري الذين خرجوا مع صلاح الدين الأيوبي

عندما التقى الحواجري القادمون من مصر **بأحفاد عائلة الحواجري في بئر سبع**، علموا أن **أجدادهم قد خرجوا من مصر قبل مئات السنين، تحديدًا مع جيش صلاح الدين الأيوبي أثناء تحرير القدس عام 1187م في معركة حطين**، واستقروا هناك منذ ذلك الحين.

كانت هذه **لحظة تاريخية**، إذ اكتشف الحواجري القادمون من مصر أن عائلتهم لم تتفرق فقط في **الدلتا والصعيد**، بل امتد نسلهم إلى **فلسطين منذ زمن صلاح الدين الأيوبي!**

بعد فترة في **برير**، انتقل بعض أبناء الحواجري إلى قرية **الجمامة**، حيث وهكذا، أصبحت فلسطين موطنًا جديدًا لعدد .وجدوا **فرعًا آخر من عائلتهم** من أبناء الحواجري، الذين حملوا إرث قبيلتهم في قلب **بلاد الشام**.

نهاية الرحلة... وبداية الأسطورة

وهكذا، وبعد قرون من الهجرة والترحال، انتشر **الحواجري في مصر وفلسطين والمغرب، من برقاش إلى الدلتا، ومن بئر سبع إلى الشام.** لم يكن **محمد بن نجم الدين الحواجري** مجرد فارس عبر الصحراء، بل كان **بداية لأسطورة ممتدة عبر الأجيال**.

لكن هل انتهت القصة؟ أم أن الحواجري ما زالوا يكتبون فصولًا جديدة في صفحات التاريخ؟

الفصل العاشر: تفرُّق الأسماء، وحدة الأصل

لم يكن **انتشار أبناء الحواجري** في مختلف البلاد العربية مجرد هجرة جغرافية، بل كان **تحولًا في الهوية واللغة واللهجات**. ومع مرور الزمن، ومع اندماج الأجيال الجديدة في المجتمعات التي استقروا فيها، بدأ اسم **الحواجرى** يتخذ أشكالًا مختلفة، لكنه ظل محتفظًا بجوهره العريق.

الحواجرى في مصر وفلسطين والسعودية

الحواجرى، في **مصر** و**فلسطين** و**السعودية**، بقي الاسم كما هو تقريبًا كعلامة تدل على ارتباطهم بوادي **الحواجر**، الذي خرج منه فارسهم الأول **محمد بن نجم الدين الحواجري**.

في **مصر**، انتشر الاسم في محافظات عديدة مثل **الشرقية، الدقهلية، البحيرة، سوهاج**، بينما في **فلسطين** ظل الحواجري معروفين في **بئر سبع**، أما في **السعودية**، فحمل بعض أبناء القبيلة الاسم بعد **برير، والجمامة**. انتقالهم إلى الحجاز خلال العصور الإسلامية المختلفة، وظلوا مرتبطين بتاريخهم البدوي.

الحاجري في اليمن والمغرب – المفرد من الحواجرى

أما في **اليمن والمغرب**، فقد تحول الاسم إلى **الحاجري**، وهو المفرد من **حواجرى**.

- في **اليمن**، استقر بعض أفراد القبيلة بعد الهجرة الطويلة، وارتبطوا ببعض القبائل العربية هناك، مما جعل اسمهم يتغير ليصبح **الحاجري**، لكنه ظل محتفظًا بجذوره القديمة.

- في **المغرب**، حيث عاش جزء من الحواجري لقرون، تأثر الاسم باللكنة المغربية، واختصر ليصبح **الحاجري**، لكن العائلات هناك لم تنسَ أصولها، وكانوا يرددون دائمًا أنهم **عرب جاءوا من مصر**.

عشيرة الحواجره في الأردن – الجمع من حواجرى

، وهو **الجمع "الحواجره"**في **الأردن**، أخذ الاسم شكلًا مختلفًا، حيث أصبح **من "حواجرى**"، وذلك نتيجة تأثره باللهجة البدوية المنتشرة في بلاد الشام.

- استقر بعض أفراد الحواجري في الأردن خلال الفتوحات الإسلامية، وامتزجوا مع القبائل الأردنية، حتى أصبحوا يُعرفون بعشيرة **الحواجره**، التي لا تزال تحتفظ بتاريخها وأصولها.

وحدة الأصل رغم اختلاف الأسماء

مهما اختلفت الأسماء بين **الحواجرى**، **الحاجري**، **الحواجره**، ظل جميعهم أبناء **محمد بن نجم الدين الحواجري**، واحتفظوا بتاريخهم المشترك الذي امتد عبر **الجزيرة العربية**، **مصر**، **الشام**، **والمغرب**.

وهكذا، استمرت أسطورة **الحواجرى**، ليس فقط في الأرض التي عاشوا فيها، ولكن أيضًا في الأسماء التي حملوها، والتي بقيت شاهدة على تاريخ طويل من الهجرة، الكفاح، والفروسية.

بالطبع! إليك **الفصل الحادي عشر**، نضيف فيه الحدث التاريخي من كتاب *المقريزي – المقفى الكبير*، ونربطه بسياق الرواية، ليُظهر أن سيرة **الحواجري** لم تقتصر على الفروسية والانتشار الجغرافي، بل امتدت أيضًا إلى دهاليز السياسة وصراعات الحكم.

الفصل الحادي عشر: الحواجري في قصور السلطة – نصر الله ومواجهة الوزير

لم تكن بطولات **الحواجري** في السيف وحده، فقد امتد أثرهم حتى مجالس الحكم والوزارات في قلب القاهرة، حيث تدور أعظم المؤامرات، وتُصنع قرارات السلطنة. وبينما تفرق أبناء القبيلة في أرجاء **مصر والمغرب وفلسطين**، بقي بعضهم في القاهرة، يحملون ميراث الجد الأكبر **محمد بن نجم الدين الحواجري**، ولكن هذه المرة، بالسيف والعقل معًا.

من بين هؤلاء، برز اسم **تقي الدين نصر الله بن فخر الدين الحواجري**، الذي نشأ في بيئة علم وقيادة، وتدرج في دواوين السلطنة حتى صار **ناظر الدواوين**، أحد أهم المناصب المالية والإدارية في الدولة.

رجل في زمن الصراعات

في عهد السلطان **الملك المنصور قلاوون**، كانت القاهرة تغلي بالصراعات بين الوزراء، والأمراء، والطامحين للنفوذ. وكان الوزير النافذ آنذاك هو **علم الدين سنجر الشجاعي**، رجل صارم ذو نفوذ واسع، لم يكن يقبل المعارضة ولا من يشاركه القرار.

لكن **تقي الدين الحواجري** لم يكن ممن يُشترى بالصمت، فقد كان **قوي الشخصية، حاضرًا في مجلس الأمراء، صريحًا في الرأي، لا يخشى سطوة أحد**.

مشاجرة في قلب السلطة

وذات يوم، وفي مجلس السلطان، نشبت **مشاجرة علنية بين تقي الدين نصر الله الحواجري ووزير السلطان سنجر الشجاعي**، على مرأى من الأمراء والقضاة. رفع **نصر الله الحواجري** صوته، معترضًا على قرار الشجاعي، وقال له في جرأة نادرة:
"الوزارة ليست سيفًا على رقاب الناس، بل أمانة يُحاسَب عليها صاحبها!"

ساد المجلس صمت مشدوه، فحتى الأمراء لم يكونوا يجرؤون على مخاطبة الوزير بهذا الشكل. لكن **الحواجري** لم يكن رجلاً عاديًا، بل ابن قبيلةٍ لم تعرف الخضوع إلا لله، وتاريخُ أجداده محفورٌ في الرمال والدماء.

لم يستطع **الشجاعي** الرد علنًا، لكنه لم ينسَ تلك الإهانة. وما هي إلا أيام، حتى بدأت الدسائس تحاك ضد **نصر الله الحواجري**، ولكن شعبيته، ومكانته، وحكمته، حفظته من كيدهم... على الأقل في ذلك الوقت.

صوت من الماضي... حاضر في كل جيل

بقيت هذه القصة تُروى في مجالس **أحفاد الحواجري** في **برقاش، والحاجر، وفلسطين، والمغرب**، كدليل أن الحواجرى لم يكونوا فقط **فرسان الصحراء**، بل أيضًا **أعمدة في قصور الحكم**، يرفعون صوت الحق في وجه الاستبداد.

وهكذا، من وادي **الحواجر** إلى دواوين **السلطنة المملوكية**، عبر نسلٌ نادرٌ من الرجال، يحملون اسمًا واحدًا يعلو على الزمان والمكان:
الحواجرى.

الفصل الختامي: إرث لا يزول

لم تكن قصة **الحواجرى** مجرد حكاية تُروى، بل كانت تاريخًا يُحفر على صدر الزمان، يخطه الفرسان في المعارك، والعلماء في دواوين الحكم، والرجال في الصحارى والوديان، حيثما حلت القبيلة، وحيثما نادت الأرض بأبنائها.

الشتات العظيم وعودة الدم إلى جذوره

بعد قرون من الترحال، لم يبقَ جزء من الوطن العربي إلا وحمل فيه **اسم الحواجرى** أو صدى وجوده. فمن **برقاش** في مصر، حيث استقروا أول الأمر، إلى **فلسطين**، **حيث قاتلوا مع جند صلاح الدين**، ثم إلى **المغرب**، **حيث اتخذوا بين فاس ومكناس موطنًا مؤقتًا قبل عودتهم.**

ومع دخول **محمد علي باشا** إلى مصر، تغيرت الجغرافيا، وتحولت القرى، وشقت الترع، فانتشر أبناء **الحواجرى** في الدلتا، ليعيدوا تأسيس أنفسهم من جديد، في **فاقوس بالشرقية**، **وشيط الجمايلة بكفر صقر**، **وبشلا بميت غمر**، **وحوش عيسى بالبحيرة**، **ومركز بدر**، **والحاجر بسوهاج**، **والحاجر بكفر الشيخ**، وغيرها من البلاد التي حملت معهم **روح القبيلة**، **وعزم الفرسان.**

الحواجرى في فلسطين... عودة إلى الجذور

لم يكن غريبًا أن يجد **أحفاد الحواجرى** في فلسطين أبناء عمومتهم هناك، حينما حط بعضهم في قرية **برير** بعد حملة **إبراهيم باشا ابن محمد علي**.
وعندما أجبرهم الزمن على الرحيل، هاجروا إلى **الجمامة**، وهناك وجدوا قبيلة **الحواجرى في بئر السبع**، ممن استقروا منذ زمن **حطين**، يقاتلون كما كانوا دومًا، حاملين راية أجدادهم، بين النخيل والرمال.

اسمٌ يتغير، لكنه لا يُمحى

لم يكن اسم **الحواجرى** واحدًا في كل مكان، بل أخذ أشكالًا مختلفة وفقًا للزمان والمكان:

- **الحواجرى** :في **مصر، وفلسطين، والسعودية**، ظل الاسم كما هو.
- في **اليمن والمغرب**، أصبح الاسم **الحاجري**، وهو مفرد **حواجرى**.
- في **الأردن**، عرفوا باسم **عشيرة الحواجره**، بصيغة الجمع.

لكن مهما اختلف الاسم، بقي **الإرث واحدًا**، والدم واحدًا، والراية واحدة.

إرث الفرسان... ومستقبل الأبناء

اليوم، بعد مئات السنين، لا تزال قصة **محمد بن نجم الدين الحواجري** تُروى في المجالس، ليس فقط كحكاية فارس خرج من وادٍ تحجر بين الجبال، بل **كرمزٍ للرحلة الأبدية للعرب**، في سعيهم الدائم نحو المجد، والصراع من أجل البقاء، والبحث عن الأرض التي تستحق اسمهم.

وفي برقاش، والحاجر، وشيط الجمايلة، وفلسطين، والمغرب...
لا يزال نسل **الحواجرى** يحملون الراية، ويمضون في دروب الحياة، كما مضى أجدادهم، فرسانًا، لا يهابون الزمن.

"قد تتغير الأرض، قد تتبدل الأسماء، لكن المجد لا يزول، ما دام في الدم فارسٌ يحمل السيف، وما دامت الرمال تذكر وقع أقدامه."

تمت.

هكذا تنتهي الرواية، ولكن القصة الحقيقية لم تنتهِ...

أم العلو المحاسنية – سيدة برقاش الجبارة

قبل أن يعين **المماليك عائلة الدغوغى** عمدًا عليها، كانت هناك امرأة واحدة تحكم برقاش بقبضة من **حديد ونار**... **أم العلو المحاسنية**.

لم يكن اسمها يذكر في المجالس إلا وهمسًا، فقد كانت **أسطورة حية بين البدو**، امرأة من **قبيلة بو حجيل**، وُلدت في **برقاش منذ أكثر من أربعة قرون**، يوم كانت الأرض بلا حاكم، والعشائر في صراع مستمر.

امرأة بقبضة الرجال

لم تكن **أم العلو** كسائر النساء، بل كانت تحمل السيف، وتُسيِّر الجيوش، وتجتمع حولها **الفرسان المدججون بالسلاح**، يحمون سلطانها، ويؤمنون حكمها. يقال إنها **لم تتزوج قط**، واعتبرت برقاش **ابنها الوحيد**، تحميها من كل غريب، وتضرب بيد من نار على كل من يعصي أمرها.

في عهدها، **لم يكن للضعفاء مكان**، ومن يعارضها **يُقطع رأسه دون رحمة**، فقد بنت **الدوار الكبير**، أو ما كان يسمى **المندرة**، ليكون مقر حكمها في منطقة **الدرب النافذ**، وهي أعلى منطقة في برقاش، حيث يُشاع أنها **بُنيت على جماجم المعارضين**، لتكون عبرة لكل من تسوّل له نفسه الوقوف في وجهها.

برقاش... القلعة التي لا تسقط

كانت برقاش في زمن **أم العلو** قلعة منيعة، فموقعها المرتفع جعلها **سدًا طبيعيًا يحميها من فيضان النيل**، وقوتها العسكرية جعلتها محصنة ضد غارات القبائل الأخرى.

لم يجرؤ أحد على مهاجمتها، ومن فكر في ذلك، لم يُسمع له ذكر بعدها.

سقوط الأسطورة

لكن لكل قصة نهاية... وكما صعدت **أم العلو** إلى المجد، كان لا بد أن يأتي يوم تسقط فيه.

لا أحد يعرف **كيف انتهى حكمها**، فالبعض يقول إنها **قتلت على يد خدمها** الذين ملوا من جبروتها، والبعض الآخر يزعم أنها **اختفت ذات ليلة، ولم يُعثر لها على أثر**، وكأن الأرض ابتلعتها.

لكن الأكيد أن **برقاش لم تنسها**، وبقيت حكاياتها تتناقلها الأجيال، يرويها الشيوخ في المجالس، ويحكيها الأجداد للأحفاد عن **المرأة الحديدية التي حكمت برقاش قبل أن يحكمها أحد من الرجال**.

واليوم، عند الوقوف على **الدرب النافذ**، حيث بُني **دوار أم العلو**، يقول البعض إنهم **لا يزالون يسمعون صوتها في الرياح، يهمس بالوعيد لكل من يفكر في التمرد على برقاش...**

وهكذا، بقي اسمها خالدًا، كما بقيت برقاش شامخة عبر العصور.
